

إسأل عن واقع المرأة لتفهم واقع النخبة

ما علاقة رسائل النساء إلى رواد النهضة بظاهرة الإرهاب

مرت عقود من الزمن منذ محاولات رواد النهضة العربية النهوض بواقع المرأة واثبات الفكر النير وتجاوز الركود والجهل والتخلف في مجتمعاتهم. هذه الجهود أتت بنتائج هامة وإن جزئياً، لكن حين نتأمل واقع المرأة والمجتمعات العربية اليوم والتي لا يزال ينخرها الجهل والتطرف نفهم أن منجز رواد النهضة لم يستمر بالشكل المطلوب ولم يتطور على أيدي اللاحقين وهذا ما يثبته كتابان جديان للكاتب المصري محمد الحماصبي.

وأمنية السعيد وآخرين. وهو ما يشير إلى دلالة خطيرة سواء في الرسائل التي توجه بها أفراد المجتمع إلى بريد المجلة عموماً، أو تلك التي حُصّ بها أحد الرواد تحديداً.

في مقابل حالة من الانقسام وانقطاع عرى المشاركة المجتمعية بين أبناء المجتمع الآن ونخبه، الذين صاروا يعيشون في جزر منعزلة، وهو ما يُلقَى باللوم بطريقة غبية مباشرة على النخبة التي انصرفت لشؤونها الخاصة. وهو ما يتقاطع مع الكتاب الثاني، فأحد الأسباب الرئيسية التي جعلت من تلك البؤر التكفيرية تظهر وتستفحل، وتستقطب الشباب، هي غياب القوة الناعمة، وتحجيم النخبة عن ممارسة دورها التنويري، وهو ما يمثل صرخة لأولي الأمر، بأن المعالجات الأمنية ليست كافية وحدها لمقاومة هذا النبت الشيطاني، الذي تسرب ونمى وترعرع في وادينا الطيب، هذا القدر من السفلة والأوغاد (كما يقول صلاح عبدالصبور) على غفلة منا.

الكتابان ينبعان من إيمان المؤلف بواقعه وما يشهده من تحولات وإشكاليات ساعيا إلى قراءة خلفيات الأزمت

بداية، عنوان كتاب "هموم نساء مصر" لا يتطابق مع محتوى الكتاب، فالكتاب لا يتضمن حكايات عن هموم نساء مصر فقط، بل يشمل أيضا هموم بعض الشباب عن قصص حبٍ مُجهضة، والسلم مرير بسبب ماضٍ يظل ويفسد المستقبل كما في قصة الشاب الذي تزوج من فتاة، واكتشف أنها كانت تمتن الرقص في الماضي، وهو ما أرق حياته، فهرب بعيدا، إلا أن الماضي راح يطارده وينسج أوامها كانت بداية قطع أواصر المحبة بينهما.

نفس الشيء يتكرر مع الشاب، الذي اكتشف أن زوجته كانت تعمل خادمة، مما عرض سمعته وسمعته عائلته للقليل والقال وسط مجتمعه، إلى جانب ذلك، هناك قصة الرجل، الذي اكتشف أن والد زوجته هو من قتل أخاه في الماضي، وأصابه بجرحٍ مازالت ندوبه باقية عليه. وغيرها من حكايات أبطالها رجال.

كما أن المشكلات الواردة إلى بريد مجلة الإثنين ليست مقتصرة على مصر ونواحيها، فهناك رسالة واردة من فلسطين، من الشاب الذي يُحب فتاة من دبانة غير ديانتها وطبقة غير طبقتها. وهناك أيضا رسالة من فتاة عربية، عن خطيبها الذي شوهته الحروب. لذا كان الأولى هو أن يُعنون بـ"النخبة وهموم المجتمع".



واقع المرأة واقع مجتمع كامل (لوحة للفنانة نوال السعدون)



أي علاقة بين المرأة والإرهاب (لوحة للفنانة نوال السعدون)

مستحيل تحققها أو وجودها، إلا في خيالات أصحاب هذه الأفكار السوداء، فقيام الدولة الحديثة واستمرارها مرهون بمواجهة الإرهاب على نحو ما أشار إليه الدكتور شاكور عبدالحميد في دراساته عن "التفسير النفسي للتطرف والإرهاب".

هناك حالة انفصام وانقطاع عرى المشاركة المجتمعية بين أبناء المجتمع الآن ونخبه الذين صاروا في جزر منعزلة

فحسب وجهة نظره، أن المفتاح الأساسي في مواجهة الإرهاب هو الإبداع، وهو ذات الوسيلة التي أشار إليها عمار علي حسن في تقديمه للكتاب، حيث أولى الثقافة والفكر أهمية كبرى، كأدوات ناجعة في مقاومة الإرهاب، بل واستنصاه من جذوره. بما أن الإبداع تفكير قائم على التعدد والتنوع والكثرة، في مقابل الإرهاب الذي هو بمثابة نسق مغلق، يقوم على أساس النمطية والتكرار، كما أن الإبداع قائم على التنوع والتعدد، أما الإرهاب فيركز على السياسي كدولة للعيش المشترك

أوربا. كما يتوقف عند الأصولية الفكرية، حيث تقف ذهنية التفسير وراء الإرهاب الديموي. وهو ما يجعلها تتحالف مع العدو الأميركي من أجل تحقيق يوتوبيا الخلافة الإسلامية، والسعي إلى التحليل النفسي للتطرف والإرهاب. وكان الكتاب عبر استخلاص النتائج من المقاربات التي قدمتها الكتب، بمثابة خارطة طريق هادية للتبصير بمناطق قوته وغاياته ومرامييه، فيفتش عن الآليات الاستقطاب التي يستميل بها تيار الإسلام السياسي مجموعات كبيرة من الناس، ويتساءل عن السحر أو الجاذبية التي يجدها شباب يعيشون في أوروبا للانخراط في هذا الوباء. كما يسعى لتفكيك هذه الجماعات، سواء على مستوى خطابها والياتها وأدواتها الإعلامية المنهجية، وفي الوقت نفسه يقوم بتفكيك إمبراطورية جماعة الإخوان المسلمين المالية والاقتصادية، والبحث عن موارد تمويل أنشطتها، وشبكات المريبة التي تنسج تحالفات من أجل تحقيق مصالحها. على نحو ما يكشف عن علاقاتهم المريبة بالأجهزة الاستخباراتية البريطانية والأميركية، وهو ما يجعل البعض يربط التصرفات المالية والاقتصادية للتنظيم الإخواني بجماعات الجريمة المنظمة المنتشرة في كافة دول العالم وبؤر العُنف واليات الناعمة، التي تسعى إلى استقطاب شباب مُعغم يعيش في

أيضا يتوقف الكتاب راصدا لبداية التلاحق الإخواني السلفي، الذي يراه الباحث حسام تمام في كتابه "الإخوان المسلمون سنوات ما قبل الثورة" طبيعياً؛ لأنه نابع من تقاربٍ فكري، وليس مجرد مصالح. كما أن هذا التقارب ليس وليد الآن، وإنما يمتد منذ عصر حسن البنا، وقد كانت الموجة الأولى لتسلف الإخوان مع الهروب إلى الملاذ حيث الوهابية المساعدة، عندما هاجرت الجماعة وكوادرها إلى السعودية بعد قبضة عبدالناصر الحديدية عليهم. ما يقود إلى استنجد التاريخ السري لتامر بريطانيا مع الأصوليين، وبالمثل دور الولايات المتحدة في تبني هذه الحركات ثم التحول لمواجهة فترتي السادات ومبارك تقويضهما الأساس الفكري للإسلام الليبرالي الحديث، بل حملتهما استنشاء الأمور، وخروجها عن السيطرة، على نحو ما كانت عليه أيام عبدالناصر. كما تتوقف بعض المقاربات عند سمات الخطاب الإسلامي في أفريقيا وتحولاته من الضوئية إلى بوكو حرام، لينتهي الكتاب بعد استعراض عناوين مهمة إلى أن الإرهابيين "يصنعون ولا يولدون"، لما لديهم من منظومة دعائية وإعلامية قوية حاضرة. ومن ثم فإن افتراضية دولة الإسلام السياسي كدولة للعيش المشترك

بعض هذه الرسائل تُعبّر عن وعي حقيقي بمطالب المرأة والدفاع عن حقوقها قبل ظهور الحركات النسوية، ففي الرسالة التي خاطبت صاحبته توفيق الحكيم، وكانت شديدة الحدة معه، تكتشف أن حديثها منبعا دفاعها عن حق المرأة، في أن تعامل معاملة أدمية لا معاملة الجارية التي يتركها زوجها وحيدة في البيت، ويتسرع على المقاهي مع أصدقائه، وعندما يعود يجب أن تكون في انتظاره، فهذه الغضب، غضبة على ظلم بين يمارسه الرجل، بغيابه عن بيته وافترقا الزوجية له.

ومن ثم تعيش هذه المرأة في وحدة، وفي رسالة الفتاة التي ارتبطت بشباب، أخوها ارتبط باخته. وبسبب الخلافات أراد خطيبها أن ينتقم لأخته فتركها، تنمر على هذه التقاليد وتلك الانساق التي تربط ذنب هذه بذنب تلك، وكان الرسائل في مضمونها ثورة ضد الغبن والممارسات التي مورست ضد المرأة من السلطة الأبوية تارة وسلطة التقاليد والعادات تارة ثانية، ومن سلطة الدين تارة ثالثة، لكنها تتوسد برأي وحكمة أهل العلم والدراسة.

حالة هروب الأزواج من البيت ظاهرة مستحدثة كما ذكر توفيق الحكيم في رده على السائلة، وهي تكشف عن غياب الحوار، مما يضطر الزوج إلى الهروب إلى خارج البيت لقضاء الوقت في المقهى، وهو ما يتقاطع مع ظاهرة التطرف، وإن لم تتناولها المقاربات التي عرض لها الحماصبي في كتابه "التطرف والإرهاب"، فسبب ميل بعض الشباب إلى أفكار هذه الجماعات يعود أيضا إلى حالة الغياب، غياب الأسرة عن مراعاة أبنائها، فيعطي أذنه لمن يملأها، وهذه الجماعات بحكم خبرة أفرادها وكفاءتهم في الاستقطاب والجذب، يكونون حاضرين لماء هذا الفراغ بأفكار ظلامية مع الأسف.

يوتوبيا الخلافة

يقدم الحماصبي في كتاب "التطرف والإرهاب" عبر مقارباته للكثير من الكتب التي تناولت هذه الظاهرة، الكثير من الأسباب التي ساهمت في تقوية شوكتها، واستفحال رؤوسه، مع السعي إلى استنصاح جذوره، وتحليل خطاب الإسلام السياسي، وتحديد مكونات الخطاب واليات الناعمة، التي تسعى إلى استقطاب شباب مُعغم يعيش في